

## المنشآت العمرانية للدولة الزيانية

د. شعوة علي

alichaoua09@gmail.com

جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي

### ملخص

تناولنا في هذا المقال لأهم المنشآت العمرانية للدولة الزيانية، ومن هذه المنشآت نذكر المدن وتمثل في مدينة تلمسان عاصمة الدولة، ومدينة مازونة، وندرومة والعباد، ووهران ومستغانم ومليانة وتنس والجزائر والمدية وغيرها.

أما المساجد فتلمسان نفسها تضم 60 مسجد، من أهم مساجدها نذكر الجامع الكبير، ومسجد سيدي الحلوي، ومسجد سيدي أبي الحسن، ومسجد لبنا الإمام، ومسجد سيدي إبراهيم المصمودي وضريحه، ومسجد سيدي البناء، ومسجد الشيخ السنوسي، ومسجد سيدي ابي الحسن مخلوف، ومسجد الخراطين، ومسجد سيدي يدون، إضافة إلى جامع أبي مدين في العباد.

كما اشتملت مدينة تلمسان على مدارس عليا مثل مدرسة الأخوين ابنا الإمام، والمدرسة التاشفينية، والمدرسة اليعقوبية، ومدرسة منشار الجلد.

إضافة إلى منشآت أخرى مثل المنصورة التي بناها أبي الحسن المريني أثناء حصاره تلمسان، وكذلك المشور، والسقايا والقناطير، وتعبيد الطرق والمقابر، وبناء الدور والقصور، إضافة إلى الزوايا والثغور، والتي كان لها دور كبير في تعليم العلوم الشرعية وخدمات اجتماعية، والدفاع عن البلاد ضد العدو الخارجي.

### Résumé

Au cours des dernières décennies, la société soufis a connu de nombreux types d'industries traditionnelles qui, bien que caractérisées

par la simplicité et la facilité, ont joué un rôle important dans la stimulation du mouvement économique. C'est un des piliers de la vie quotidienne des habitants de cette région désertique caractérisée par la dureté des conditions naturelles et la difficulté d'y vivre. L'une de ces industries est la construction en gypse, principale industrie de la région, car elle est liée à la production du premier matériau nécessaire à l'établissement de maisons et de logements dans lesquels vit l'individu soufi. L'industrie du gypse a connu de nombreux développements au fil du temps, tant en termes de préparation et de production que de méthodes de distribution et d'utilisation. Cette évolution a renforcé le besoin urgent de ce matériau clé dans le processus de construction, ainsi que la disponibilité des matières premières et la présence de main-d'œuvre.

### مقدمة:

إن موضوع العمارة من أهم مظاهر الحضارة الإسلامية في العصر الوسيط، كان وجود العمارة الإسلامية مرتبط بظهور الإسلام والهجرة النبوية من مدينة مكة إلى المدينة المنورة، أدى هذا الحدث التاريخي إلى تأسيس الدولة الإسلامية وعاصمتها المدينة المنورة. كانت هذه الأخيرة تحوي على مؤسسات سياسية ودينية لهذه الدولة الجديدة، منها المسجد النبوي، الذي كان إلى جانب دوره الديني هو بمثابة مركز الحكومة و القيادة العليا للدولة، إلى جانب هذا وجود مؤسسات أخرى مثل بيت المال والدواوين وغيرها... لقد كان لازدهار الحضارة الإسلامية ظهور دول إسلامية جديدة منفصلة، وهذه الأخيرة أنشأت حواضر كبرى في مختلف أرجاء البلاد الإسلامية، ومن هذه الحواضر نجد مدينة بغداد التي بناها أبو جعفر المنصور، ومدينة سمراء والقيروان و فاس مراكش و بجاية وغيرها.

الملاحظ أن أول شيء يقوم به المسلمون في بناء المدينة هو بناء المساجد، وهي عادة متوارثة منذ صدر الإسلام

ونظرا لمكانة العمارة وال عمران في إظهار حضارة الدول وتقدمها ساهم سلاطين دول المغرب الإسلامي في هذا الميدان، بحيث كان كل سلطان يبذل الأموال والبنائين

والإمكانيات من أجل بناء صرح دولهم، ومن هؤلاء الزيانيين في المغرب الأوسط، بحيث وضع كل سلطان من هذه الدولة بصمته في بناء الدولة الزيانية

### 1 - المدن:

#### مدينة مازونة:

ومن هذه الحواضر الهامة مدينة مازونة، التي كان يقصدها الكثير من العلماء للعلم أو الإقامة(1) إذ أن أحد العلماء وهو الإمام البرزلي، لما ذكر له طلبة مدينة مازونة وكثرة مجالسها ونجابة طلبتها وقريجة أشياخها سافر إليها(2).

كما اشتهرت مازونة بعالمها الفقيه ابو زكريا يحيى المازوني، صاحب كتاب الدرر المكنونة في نوازل مازونة، الذي بلغ مؤلفه شهرة منقطعة النظر.

#### مدينة تلمسان:

يقول القلصادي: تلمسان يالها من شان، ذات المحاسن الفائقة والأنهار الرائقة والأشجار الباسقة والأثمار المحدقة والناس الفضلاء الأكياس المخصوصين بكرم الطباع والأنفاس، ولا ينكر وجود الفاذا من جميع الأجناس، وأدركت فيها الكثير من العلماء والصلحاء والعباد والزهاد، وسوق العلم حينئذ نافقة، وتجارة المتعلمين والمعلمين رابحة، والههم إلى تحصيله مشرفة، وإلى الجد والاجتهاد فيه مرتقية.(3)

-توجد بتلمسان مساجد عديدة جميلة صينة، لها أئمة وخطباء وخمسة مدارس حسنة، جيدة البناء مزدانة بالفسيفساء وغيرها من الأعمال الفنية، شيد بعضها ملوك تلمسان وبعضها ملوك فاس، وبها كذلك عدة حمامات متفاوتة القيمة... وفيها فنادق على النمط الإفريقي... وحرارة تضن 500 دار لليهود كلهم أغنياء... وفي المدينة عدة سقايات لكن العيون توجد خارج المدينة، بحيث ان العدو يمكنه أن يقطع الماء عنها بدون صعوبة، والأسوار في غاية الارتفاع والقوة، فتحت فيها خمسة أبواب واسعة جدا، مصاريعها مصفحة بالحديد، وقد أقيمت في جوفها حجيرات يقيم فيها موظفون وحراس ومكاسون، والقصر الملكي الواقع جنوب المدينة محاط بأسوار مرتفعة إلى حد كبير على

شكل قلعة، ويضم قصور أخرى صغيرة ببساتينها وسقاياتها...وفي خارج تلمسان ممتلكات هائلة فيها دور جميلة للغاية ينعم المدنيون بسكانها في الصيف...وفي تلمسان يوجد بها قضاة ومحامون وعدد كبير من العدول يتدخلون في العدول، وكثير من الطلبة والأساتذة في مختلف المواد سواء في الشريعة أو العلوم الطبيعية، تتكفل المدارس الخمس بمعاشهم بكيفية منتظمة. وينقسم جميع أهل تلمسان إلى أربع طبقات: الصناع والتجار والطلبة والجنود(4)

## 2 - المنصورة:

وهي أشبه بالقلعة، بحيث تجاور مدينة تلمسان، وتشمل جميع مرافق المدينة، محاطة بسور عالي، أما سبب بناءها هو أن السلطان المريني أبو الحسن عندما حاصر تلمسان بقي هناك في محاذتها، وذلك حتى يمنع سكانها من الخروج والتموين بالمواد الغذائية، لذلك بنى مدينة المنصورة.

يقول ابن مرزوق: وبنى رضي الله عنه بلدين مستقلين، أنشأ جميعهما بما اشتملتا عليه من جوامع وحمامات وفنادق، وهما المنصورة بسببته والمنصورة بتلمسان، التي لم يرى الرائون مثلها ولا وصف الواصفون مثل وصفها.

أما قصرها ومسكن الإمام بها رضي الله عنه فقد رأيت كثيرا ممن دخله من المتجولين ممن رأى مباني العراق ومباني مصر والشام والمباني القديمة في الأندلس ومراكش، أجمعوا على أن الذي اجتمع فيه لم يجتمع في غيره، والحق مآلوه.

أما دار الفتح و البستنة وما اتصل بهما و المشورّ فما أظن المعمور اشتمل على مثلها، فلحا الله في خرابها(5)

## قرية العباد:

وهي عبارة عن قرية صغيرة، تقع في جنوب شرق مدينة تلمسان، تبعد عنها بنحو ميلين، مبنية في سفح جبل البعل الذي يشرف عليها بغابته ذا الأشجار الوارفة الظلال،

كما تشرف هي أيضا على واد الصفصيف وما على حافته من البساتين الخضراء والحدائق الغناء والرياض الفيحاء.

واسم العباد مشتق من العبادة لأنه جمع عابد، إذ كان في أول الأمر رباط يجتمع به النساك والزهاد والمتبتلون بقصد الانقطاع لعبادة الله والجهاد في سبيله، قال العبدري الذي زار تلمسان عام 688هـ / 1289م عن العباد في رحلته ((وبظاهاها -أي تلمسان- في سند جبل موضع يعرف بالعباد، وهو مدفن الصالحين وأهل الخير، وبه مزارات كثيرة ومن أعظمها وأشهرها قبر الصالح القدوة فرد زمانه أبي مدين رحمه الله ورضي الله عنه ورزقنا بركته وعليه رباط مخدم مقصود(6)، وكان العباد في سالف الأزمان ينقسم إلى قسمين العباد السفلي والعلوي(7). ومن أشهر المنشآت الهامة في قرية العباد جامع سيدي أبي مدين والمدرسة التي انشأها السلطان أبي الحسن المريني.

### 3 بجاية:

كانت بجاية حاضرة كبيرة في المغرب الأوسط، بحيث كانت ملتقى لكثير من العلماء والفقهاء والصلحاء

يقول عبد الرحمن الثعالبي في رحلته: "ثم تناهت بي الرحلة إلى بجاية فدخلتها عام اثنين وثمانين مئة فقيت بها الأئمة المقتدى بهم في علمهم ودينهم وورعهم، أصحاب الشيخ الفقيه الزاهد الورع أبي

زيد عبد الرحمن بن أحمد الوغليسي، وأصحاب الشيخ احمد بن إدريس، وهم يومئذ متوافرون، أهل ورع ووقوف مع الحدود، لا يعرفون الأمراء ولا يخالطونهم، وسلك أتباعهم وطلبتهم مسلكتهم رضي الله عن جميعهم (8)

ومن شيوخه أبو الحسن علي بن عثمان المنجلاقي والفقيه أبو الربيع سليمان بن الحسن والشيخ أبو الحسن علي محمد البلبليتي وشيخنا علي بن موسى والشيخ الإمام المحقق الجامع بين علمي المعقول والمنقول أبو مهدي عيسى اليبليتي والشيخ أبو موسى

المشدالي والشيخ الجامع بين المعقول والمنقول ذو الاخلاق المرضية والاحوال الصالحة السنية أبو العباس أحمد النقاوسي، الذين كانت لهم مجالس علم.(9) ويوجد ببجاية جامع مشهور يعرف بالجامع الكبير، امه فيه الكثير من العلماء، منهم الشيخ محمد بن صالح بن احمد بن محمد بن رحيمة الكناي، خطيب جامع بجاية وإمامه.(10)

إضافة إلى هذا هناك مدن أخرى لا تقل أهمية عن مدينة تلمسان وهي:

-تفيسرة

-تسلة

-البطحاء

-وهران

-المرسى الكبير

-مركزان

4 -مستغانم

-بريشك

-مليانة

-تنس

-الجزائر

-المدية

-تمندفوست

-دلس

### المساجد والزوايا:

بلغ عدد مساجد تلمسان حوالي 60 مسجدا(11)، وهذا يدل على اهتمام بني

زيان بال عمران والحضارة، ومن أهم هذه المساجد نجد:

الجامع الكبير:

أنشأه المرابطون سنة 530هـ/1136هـ كما هو منقوش بباطن قبة المسجد، على أن مناره متأخرة عنه بسعين سنة، ثم كان تجديد المنار المذكور على عهد يغمراسن بن زيان، ويبدو على زخارف ونقوش الجامع الأعظم أنها من صنع نحاتين أندلسيين، كما يلاحظ أن محرابه قريب الشبه في شكله وهندسته وبديع زخرفته بمحراب جامع قرطبة. (12)

و يذكر الشيخ محمد ابن مرزوق في وصف الجامع الكبير: "فقد اتفق الرحالون وأجمع المتجولون على أنهم لم يروا له ثانيا... وجامع المنصور بمراكش الذي يضرب به الأمثال، وإن كان أكبر مساحة، إلا أن ما كان في هذا من الرخام والأحكام أغرب وأعظم، ولاشك أن صومعته في مشارق الأرض ومغاربها، صعدها غير مرة مع الأمير أبي علي الناصر... وكانت محكمة البناء والنجارة في الأحجار بصناعة مختلفة مع الأحكام في كل جانب، ورأيت العمود الذي يركب فيه التفافيح، وهو من حديد يشبه أن يكون صاريا،

5 وأما الثريا فكان عملها على يدي، فأنا الذي رسمت تاريخها في أسفلها على بخطي على ماهي عليه الآن في جامع تلمسان، وتشتمل على ألف مشكاة أو نحوها، وعهدي بقدر وزنها مرسوم في أسفلها، وهي على مقدار كرم، أما المنبر فقد أجمع الصناع يومئذ على أنه لم يعمل مثله في المعمور (13)

وأجرى لهذا الجامع الأعظم نхра يشق من أصل المدينة إلى الجامع المذكور في ساقية تمر، تجري منها سقايات متعددة، ومنها الجامع الذي أنشاه بمدينة هنين، وكان شرائه على يدي، وهو مسجد خطبة، وصومعة فيه كبيرة مختلفة، واشترينا المساحة الزيادة في الجامع القديم بمال جسيم والمزيد في جامع الجزائر. (14)، "وهذا الجامع فيه الغربية الروضة التي دفن بها قاسم العقباني وابن مرزوق الحفيد (15)

يعتبر الجامع الكبير معلما من معالم المغرب الإسلامي الكبيرة، إذ كان منارة علم تشع على كامل أرجاء الغرب الإسلامي، وذلك لما كان يقوم به من دور مهم من نشر العلم و تخريج الآلاف من العلماء، بحيث كان يقصده العلماء والطلبة من كل صوب وحذب.

وهناك مساجد أخرى لا تقل أهمية عن المساجد المشهورة هي:

-مسجد سيدي الحلوي: بناه السلطان أبو عنان المريني عام 750هـ، أيام استيلاء

المرينيين على المغرب الأوسط كله، وهو بذلك من بين آثارهم في عاصمة الزيانيين(16)

-مسجد سيدي أبي الحسن: أسسه السلطان أبو سعيد عثمان(17) نسبتا للعالم

الجليل سيدي أبي الحسن علي بن يخلف التنسي المعاصر للسلطان أبي سعيد عثمان بن

يغمراسن، الذي شيده ونسبه إليه إكراما له، لأنه كان من أفضل علماء عصره وأتقاهم و

أورعهم، وابتنى هذا المسجد حسبما تنص عليه كتاباته المنقوشة في الصفحة من المرمر

الأخضر مثبتة في الجدار الغربي منه بخط أندلسي أنيق تذكارا للأمير أبي عامر إبراهيم بن

أبي يغمراسن بن زيان عام 696هـ(18)

-مسجد أولاد الإمام: كان تابعا للمدرسة التي بناها أبو حمو موسى الأول حوالي سنة

710هـ(19) شيد هذا المسجد حوالي 710هـ/1311م بأمر من السلطان أبي حمو

موسى الأول الذي أضافه إلى المدرسة القديمة أو مدرسة أولاد الإمام التي هي أول مدرسة

شيّدت بتلمسان، وقد عفت رسوم هذه المدرسة منذ عهد طويل أما المسجد فمع مالحقه

من التغيير فإنه لا يزال قائما يشهد لمن بناه بأحكام في الصنعة واتقانها والنبوغ في ممارسة

فن الهندسة المعمارية.(20)

-جامع سيدي إبراهيم المصمودي وضريحه: قام بتشييده السلطان أبو حمو الثاني

765هـ/1363م

6 (21) إلى جانب المدرسة اليعقوبية سنة 765هـ(22)

- مسجد سيدي البناء: الذي يرجع إلى القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر

ميلادي، والصحيح هو مسجد ابن البناء، كان يؤم في المسجد سيدي ابن البناء(23)

-مسجد الشيخ السنوسي: أما نسبه للشيخ السنوسي فإن المراد به الإمام العلامة

الشيخ محمد بن يوسف السنوسي المتوفي 895هـ/1490م(24)



-مسجد باب الزير وسيدي حسن بن مخلوف: المسجد الثاني نسبة إلى الشيخ سيدي أبي الحسن مخلوف الراشدي المتوفي بتلمسان سنة 853هـ/1453م، ولعلهما من بناء السلطان أحمد العاقل(25)

-مسجد الخراطين: كان إمامه أبو عبد الله محمد الشريف(ت1443م)(26)

-مسجد سيدي يدّون: يرجع بناء هذا المسجد إلى العهد التركي، إذ شيده الأتراك في تلمسان، يوجد به ضريح سيدي اليّدون(27)

أما ما أنشأه بمدينة تلمسان...جامع القصبة المشتمل على المحاسن التي لم يجتمع مثلها في مثله من حسن وضعه وجمال شكله وترتيب رواقاته واعتدال صحنه وحسن ستاره ومعين مائه واتساع رحابه واحتفال ثرياته الفضية منها والصفيرية وغرابة منبره(28)، وهناك مساجد كثيرة اندثرت قبل الاحتلال الفرنسي.

### أبنية سيدي بومدين:

وهي تشمل أربعة هياكل وهي:

#### دار السلطان:

إذا وصل الزائر إلى باب سيدي أبي مدين فإن أول ما يشاهد فوق ذلك الباب شرعة خشبية يرجع تاريخها إلى عهد الأتراك فإذا دخل الباب وجد عن يساره بابا عريضا يؤدي إلى دار السلطان، وهي عبارة عن مجموعة أطلال دراسة لكن رسومها لا تزال بارزة تدل عليها وجدران مخربة لازالت تحتفظ في بعض جهاتها بزخرفة الجبسية وأروقة ذات قناطر مقوسة.(29)

### 7 الضريح:

أما الضريح فقد شيّده الخليفة الناصر بن المنصور الموحدى بعد وفاته التي كانت عام 594هـ/1197م، وأما صاحب القبر المجاور لقبر سيدي أبي مدين فهو الرجل الصالح والعالم الذي لا تأخذ في الحق لومة لائم ابن عبد السلام التونسي المتوفي عام

589هـ/1193م، أي قبل سيدي أبي مدين بنحو خمسة سنوات ودفن هذا الأخير في جواره.(30)

### جامع سيدي أبي مدين:

يقول ابن مرزوق عن الجامع: "أما الجامع الذي بناه (أي أبو الحسن المريني) حذاء ضريح شيخ المشايخ وقدوة الأئمة المتأخرين من المتصوفين أبي مدين شعيب بن حسين رضي الله عنه، فهو الذي عز مثاله واتصفت بالحسن والوثاقة أشكاله، أنفق فيه مقدارا جسيما ومالا عظيما، وكان بناءه على يد عمي وصنو أبي صالح أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق وعلى يدي، اشتمل على الوضع الغريب، وهو أن سقفه كلها أشكال منضبطة بخواتم وصناعات نجارة كل جهة تخالف الجهة الأخرى في الوضع قد رقت على نحو ما يرقم عليه أشكال منجورة منقوشة، وهي كلها مبنية أحكاء بالأجر والفضة، واشتمل على المنبر العجيب الشكل، المؤلف من الصندل، والعاج والأبنوس المذهب ذلك كله.

وأما الباب الجوفي الذي يفتح على المدرج الذي ينزل فيه إلى قبر الشيخ رضي الله وإلى الشارع وهو باب النحاس المخرم، المنقوش بالخواتم المستوفات المشتركة العمل وتخريمه على أشكال من نحاس ملونة (31).

وإذا خرج الزائر من الضريح بعد أن يصعد المدرج الذي نزل معه فإنه يقابله باب الجامع الضخم ذو الزخرفة الباهرة يحتوي هذا الباب على قنطرة عظيمة البنيان على شكل حدوة الفرس مغيرة في رأسها بتكسير غير ظاهر وعلى إطار بديع يحيط بالقنطرة كلها، ويتألف من ثلاثة تقاطيع على شكل أوراق الأشجار وأزهارها... وفوق ما ذكر تشاهد حاشية أخرى جارية فوق هذا الإطار المستطيل الشكل رسمت في داخلها الأبيض خطوط أندلسية أنيقة نصها: ((الحمد لله وحده أمر بتشيد هذا الجامع المبارك مولانا السلطان عبد الله علي بن مولانا السلطان أبي سعيد عثمان بن مولانا السلطان أبي يوسف يعقوب بنة عبد الحق أيده الله ونصره عام تسعة وثلاثين وسبعمائة نفعهم الله به)) (32)

## 8 المدارس:

تعددت طرق نشر العلم في التاريخ الإسلامي عامة و التاريخ الزياني بصفة خاصة، من هذه الطرق و الأماكن التي كانت مقر انشر العلم المساجد الجامعة الكبرى، حيث كانت توجد في كل مدينة مهمة مسجد كبير للصلاة والعبادة وكذلك لنشر العلوم بمختلف فروعها.

إضافة إلى الكتاتيب والثغور والزوايا وزيارة بيت الله للحج، وهو فرصة مهمة للاحتكاك مع العلماء المشاركة، وكذلك الأسواق التي ساهمت في نشر العلم، ودور العلماء التي كانت تقام فيها حلقات الذكر والعلم، خاصة إذا علمنا أن بعض العلماء يستضيفون العلماء في بيوتهم وغيرها من المراكز العلمية.

تعتبر المدرسة من المرافق المهمة لنشر العلم، سواء كانت علوم دينية أو دنيوية، وأهم المدارس الزيانية هي:

### مدرسة ابنا الإمام:

يعتبر السلطان أبو حمو موسى الأول مؤسس أو مدرسة في تاريخ بني زيان، عرفت باسم مدرسة أولاد الإمام وذلك سنة 710هـ/1310م، وقد أنشأها تكريماً للعالمين الفقهاء أبي زيد عبد الرحمن وأخيه أبي موسى عيسى ابني الإمام الفقيه أبي عبد الله محمد ابن الإمام من برشك(33).

والملاحظ أن الكثير من العلماء الكبار تخرجوا من هذه المدرسة مثل ابن مرزوق الكفيف و الحافظ التنسي وغيرهما، وبالتالي كانت هذه المدرسة أحد عوامل ازدهار العلوم وتنوعها.

المدرسة التاشفنية: تعد المدرسة التاشفنية ثاني مؤسسة زيانية أسست بالمغرب الأوسط، بناها السلطان أبو تاشفين بن أبي حمو موسى الأول، الذي تولى إمارة تلمسان في الفترة ما بين (718هـ/1318م) - (737هـ/1337م)

تقع التاشفينية بإزاء المسجد الجامع جنوبا، فهي إذن توجد في مجال يعتبر النواة الأولى بعد جامع أغادير الذي أسسه إدريس الأول(34)

تعتبر هذه المدرسة من أهم المدارس في المغرب الأوسط، وذلك للدور الذي كانت تلعبه في نشر العلم وتكوين علماء أجلاء، ودرّس بها علماء مثل أبي عبد الله محمد السلاوي محمد بن أحمد بن علي التميمي وأبو عبد الله محمد بن محمد المقري وغيرهم من العلماء.

### 9 المدرسة اليعقوبية:

أسسها السلطان أبو حمو موسى الثاني(760هـ-791هـ)(35)، وقد بنى السلطان هذه المدرسة تمجيدا وتخليدا لأبيه السلطان أبي يعقوب.

وقد بنى السلطان أبي حمو الثاني هذه المدرسة للشيخ أبو عبد الله الشريف التلمساني، وذلك سنة 763هـ/1362م، وجعل في بعض جوانبها مدفن أبيه وعمه، وأقام الشريف يدرس العلم إلى أن هلك سنة 771هـ/1370م.

مع العلم أن السلطان تولى أمر الزيانيين بعدما كانت محتلة من طرف بني مرين، ولذلك أراد أن يعيد أجداد الدولة الزيانية، خاصة إذا علمنا أن السلطاني أبي حمو الثاني كان مولعا بالعمارة وإنشاء المساجد والمدارس وغيرها من المنشآت العمرانية.

وهذه المدرسة لم يبقى منها اليوم إلا مسجدها المشهور باسم جامع سيدي إبراهيم المصمودي دفن هذه التربة و المتوفي حوالي سنة 805هـ/1402-1403م،(36)

كان أحمد ابن زاغو يدرس بها الجمهور التفسير والحديث والفقهاء في الشتاء والعربية والبيان والحساب والفرائض والهندسة في زمن الصيف ويوم الخميس والجمعة لقراءة التصوف وتصحيح تأليفه(37)

إضافة إلى هذا هناك مدارس أخرى لا تقل أهمية عن المدارس السابقة مثل مدرسة منشار الجلد ومدرسة العباد ومدرسة أبي عنان ابن أبي الحسن.

المنشآت التي أقامها السلطان أبي الحسن المريني:

ثم أنشأ رضي الله عنه في كل بلد من بلاد المغرب الأقصى وبلاد المغرب الأوسط مدرسة... وبالعباد ظاهر تلمسان وحذاء الجامع الذي قدمت ذكره، وبالجزائر مدارس مختلفة الأوضاع بحسب اختلاف البلدان... وكلها قد اشتملت على المباني العجيبة والصنائع الغربية والمصانع العديدة والاحتفال في البناء والنقش والجص والفرش على اختلاف أنواعه من الزليج البديع والرخام المجزع والخشب المحكم النقش والمياه النهرية، مع ما ينضم إلى ذلك من الأحباس التي تقام بها، ويحفظ بها الوضع، مما يصلح به ويبنى ويجرى في المرتبات على الطلبة والعونة والقيم والبواب والمؤذن والإمام والناظر والشهود والخدام ويوفر من ذلك، وهذا يرشدك إلى قدر ما يحتاج إليه في كل مدرسة من هذه المدارس، هذا مع ما (38) حبس في

10 جملها من أعلاق الكتب النفيسة والمصنفات المفيدة، فلا جرم كثر بسبب ذلك طلب العلم وعدد أهله، وثواب المعلم والمتعلم في ميزان حسناته بلغه الله ذلك، وغاية ما يحفظ لملك من الملوك في المشرق مدرسة واحدة أو ما يقرب منها، فكم من شخص أجرى عليه الرزق إلى انقضاء عمارتها (39)

### منشآت عمرانية أخرى:

#### المشور:

هو الصرح العظيم الذي بناه السلطان يغمراسن بن زيان في أواسط القرن السابع الهجري/الثالث عشر ميلادي بجنوب تلمسان، واتخذه درا لسكناه لدلا للقصر القديم، وقد حصنه غاية التحصين حتى صار كانه مدينة مستقلة في وسط العاصمة الزيانية، ولا يزال هذا الصرح قائما بأسواره الشاخنة وبأبيه الداخلي المعروف بباب المشور والخارجي المعروف بباب التويته إلى يومنا هذا، لكن داخله الذي كان يحتوي على عدة دور أنيقة وحدائق وحائق بديعة ونفورة للمياه في غاية الجمال والرشاقة ومسجدا فخما، وشجرة من فضة وساعة نادرة المثال تعد من عجائب الدنيا، فكل ذلك محتته خطوط الزمان وطورائ

الحدثان، ولم يبقى من المشور الآن إلا المسجد الذي بناه السلطان أبو حمو موسى الأول وجدد بناءه الأتراك، ثم حولته السلطة الفرنسية إلى كينسة(40)

### السقايا:

يقول ابن مرزوق: أخبرني الفقيه الإمام نور الدين أبو الحسن علي بن محمد بن فرحون اليعمري بالمدينة شرفها الله قال: "ما مررت في بلاد المغرب بسقايا ولا مصنع من مصانع التي يعسر فيها تناول المياه للشرب والوضوء، فسألت عنها ألا وجدتها من إنشاء السلطان أبي الحسن رحمه الله"

وصدق فإن أكثر السقايات المعدة للاستسقاء وسقي الدواب بفاس وبلاد المغرب معظمها من بنائه رضي الله عنه وكذلك أكثر الميضآت، وكذلك عمل بتلمسان في منشر الجلد وسويقة إسماعيل وغيرها بتلمسان، في مواضع لم يعد فيها جري الماء والإنتفاع به (41)

### 11 القناطر:

توجد في تلمسان العديد منها مثل قنطرة سطفسييف بتلمسان وقنطرة باب الجياد وسد سيرات وقنطرة ميناء (42)

### تعبيد الطرق:

كان هذا العمل عند السلطان أبو الحسن المريني من أهم الأعمال، فرأى أن يعمر طرق المسافرين من حضرته بفاس إلى مراكش وإلى تلمسان وإلى سبتة وغيرها من البلاد بالرتب(وهي خيام)، يأمر بسكناها على مقدار اثني عشرة يسكنها أهل الوطن ويجري لهم على ذلك إقطاع من الأرض، يعمرونها على قدر الكفاية ثوبا على سكنى المواضع المذكورة ، يلزمون فيها ببيع الشعير والطعام وما يحتاج إليه المسافرون من الأدم على اختلافها والمرافق التي يضطرون إليها هم وبهائمهم، ويجرسونهم ويحطون أمتعتهم، فإن

ضاح بينهم شيء تضمنوه، فلا يزال المسافر كأنه في بيته وبين أهله في ذهابه وإقباله، وقد جرى هذا النمط واستمر والحمد لله في بلاد المغرب(43)

#### المقابر:

تعتبر مقبرة باب الجياد من أشهر المقابر في مدينة تلمسان، وهي توجد في غرب المدينة، ودفن فيها العديد من العلماء والصلحاء منهم أبو زكريا يحيى المازوني و ابن النجار وغيرهم من العلماء (44)

#### بناء الدور والقصور:

عندما تزوج السلطان أبو الحسن المريني من ابنة الحاكم الحفصي أبي يحيى بن أبي بكر، هذه الأخيرة لما توجهت قبله مع خطابها وهم أبو زيان عريف بن يحيى والفقير أبو عبد الله السطي والفقير أبو الفضل ابن أبي مدين ومن معهم، وقاربوا تلمسان فوردت كتبهم من البطحاء، دخل ودخلت معه نتمشى لينظر لها في دار تختص بها، فلما تطوف على الدور قال لي: "والله ما هو من النظر ولا من الاعتناء بهذه الواردة أن تسكن في دار سكنها غيرها، وما الوجه إلا أن يبني لها موضع يختص بها"

فقلت له: لو كان هذا على وسع لكان ممكنا" فقال: "وأين يظهر الاعتناء وما أنعم الله علينا به، عليا بأرباب الصناعات من البنائين والنجارين والجباسين والزليجين والرخاميين والقنويين والدهانين والحدادين والصفارين". فأحضروا بين يديه وقال لهم: أريد دار تشتمل على أربع قباب مختلفة

12 ودورتين تتصلان بها، منقوشة الجدران بالصناعات المختلفة بالجبس والزليج والنقش في الأرز المحكم النجارة والصناعات المشتركة ونقش ساحة الدار وفرشها زليجا ورخاما بما فيها من الطيافير الرخام والسواري. والنجارة في السقف مختلفة باختلاف القباب بالصناعات المعروفة عندهم المشتركة المدهونة، والأبواب بالصناعات المؤلفة والخزائن والخوخ جميعها، والحلية في جميع ذلك من النحاس المموه بالذهب والحديد المقصدر"

ورسم لهم قدر ساحتها في كاغد، ووقع الوفاق لجميعهم على ذلك قطيعا وأوضح لهم عملها، فلما تم هذا قال لهم: إني أريدها في مثل هذا اليوم يكون دخولي إليها" فقالوا "نقدم الاستعانة وسعادتك"

فما انقضى الأجل وتم الأمد وجاء اليوم المعلوم ألا وهو يتمشى فيها وأنا بين يديه على الوجه المشروع والغرض الموصوف وهذه غاية في الضخامة والاقتدار على ما ورائه. (45)

#### القصور:

توجد في تلمسان قصور كثيرة، وهي خاص بالملوك والسلاطين، مثل دخول السلطان أبو حمو تلمسان سنة 760هـ وأقام بقصر ملكه (46)

#### الثغور:

وهي تدل على وجود مراكز الدفاع عن سواحل المغرب الإسلامي، من جهة أخرى فإن هذه الثغور والأربطة كانت تشبه إلى حد كبير الزاوية في نشاطها، وهي بالتالي مركز حضاري هام، والكثير من الزوايا كان أصلها أربطة تطورت عبر التاريخ إلى زويا (47) وفي الختام نستنتج أن الدولة الزيانية ساهمت في العمارة وبناء حضارة راقية، إذ ساهمت هذه المنشآت في ازدهار العلوم الدينية والدنيوية، والقيام بالمهام الكبرى للدولة الزيانية. ولعبت هذه العمارة دور ريادي في المجال الثقافي والاجتماعي والاقتصادي و السياسي في تطوير الدولة والمحافظة على كيانها الذاتي.

#### الهوامش:

- 1- المازني، الدر المكنونة، تحقيق مختار حساني، ج2، ط1، مخبر المخطوطات، الجزائر، 2004، ص24
- 2- أبو القاسم البرزلي، جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، محمد الحبيب هايبة، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 2002، ص43



- 3- أبو علي القلصادي، رحلة القلصادي، تحقيق محمد أبو أجفان، بدون طبعة، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978، ص95
- 4- الحسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983، ص17، 18، 19، 20، 21
- 5- محمد ابن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن ، تحقيق ماريا خيسوس بيغرا، تقدم محمود بوعباد، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981 ص447
- 6- الرحلة المغربية، لمحمد العبدري، ، سعد بوفلاقة، ط1، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، 2007، ص9، 10
- 7- الحاج محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص278
- 8- عبد الرحمن الثعالبي، غنيمة الوافد رحلة الثعالبي، تحقيق محمد شايب الشريف، ط1، دارابن حزم، لبنان، 2005، ص107
- 9- نفسه، ص108
- 10- محمد بن جابر الوادياشي التونسي، محمد الحبيب الهيلة، برنامج الواديشي، ط1، جامعة تونس، تونس، 1981، ص140
- 11- عبد الرحمن الجليلي، تاريخ الجزائر العام، ج2، ج2، ط7، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص252
- 12- عبد الرحمن الجليلي، المرجع نفسه، ج2، ص252
- 13- ابن مرزوق، المصدر السابق، ص402، 403
- 14- نفسه، ص403
- 15- القلصادي، المصدر السابق، ص107
- 16- أحمد مشنان، تلمسان الزياتية، مجلة الثقافة، العدد24، الجزائر، 2010، 53
- 17- المرجع نفسه، ص53
- 18- الحاج رمضان، المرجع نفسه، ص226
- 14
- 19- أحمد مشنان، المرجع نفسه، ص53
- 20- الحاج رمضان، المرجع نفسه، ص237
- 21- نفسه، ص252
- 22- أحمد مشنان، المرجع نفسه، ص54
- 23- الحاج رمضان، المرجع نفسه، ص255

- 24- نفسه، ص 257
- 25- نفسه، ص 261
- 26- نفسه، ص 261
- 27- نفسه، ص 263
- 28- ابن مرزوق، المرجع السابق، ص 402
- 29- نفسه، ص 285
- 30- نفسه، ص 288
- 31- ابن مرزوق، المصدر السابق، ص 447
- 32- الحاج رمضان، المرجع نفسه، ص 290
- 33- صالح بن قرية ومجموعة من الأساتذة، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط، ط 1، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، الجزائر، 2007، ص 141
- 34- المرجع نفسه، ص 144
- 35- احمد مشنان، المرجع نفسه، ص 53
- 36- عبد الرحمن الجيلالي، المرجع نفسه، ج 2، ص 249
- 37- القلصادي، المصدر السابق، ص 104
- 38- ابن مرزوق، المصدر السابق، ص 406
- 39- نفسه، ص 407
- 15
- 40- الحاج رمضان، المرجع نفسه، ص 242
- 41- ابن مرزوق، المصدر السابق، ص 417
- 42- نفسه، ص 418
- 43- نفسه، ص 429
- 44- القلصادي، المصدر السابق، ص 102
- 45- ابن مرزوق التلمساني، المصدر السابق، ص 448، 449
- 46- عبد الرحمن ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج 7، تحقيق خليل شحاتة، ط 1، دار الفكر، لبنان، 2000، ص 164
- 47- المصدر نفسه، ص 165